لم تغن عنهم حين د... عنهم الحصون ولا الجنن
امست سباياهم تقاد اذلة فوق البدن
عادت عراض بلادهم عرض النوائب والمحن
في كل يوم من جيوشك غارة فيها تشن
فكان دعوتهم على تلك المنابر لم تكن

وهي طويلة فنقتصر منها على هذا القدر ففيه كفاية ومدحه ايضا بقصيدة اخرى اشار فيها الى هذا المعنى وليس على خاطري من هذه القصيدة سوى غزلها فاحببت ذكره لكونه في غاية الحسن واللطافة وهو قوله

اهلا بطلعة زائر فضح الدجا بضيا جبينها
سمح الزمان بوصلها ودنت على عدوائها
باتت تعاطيني المدام وكنت من اكفائها
فسكرت من الحاظها وغنيت عن صهبائها
بيضاء قتلى دابها في نأيها وثوائها
فاذا رنت بجفونها واذا نأت بجفائها
لا تلتقي ابدا هوا عدها بيوم وفائها
الشمس من ضراتها والبدر من رقبائها
مصرية تمشي اذا انتسبت الى حمرائها
والصبح فوق لثامها والليل تحت ردائها
باتت واطراف الرماح تجول حول خبائها
فالموت دون فراقها والموت دون لقائها
ولقد هممت بربعها بعد النوى وفنائها
والعين في الاطلال ساكبة على اطلائها
فوقفت انشد في مطالعها بروق سمائها
وبكيت حتى كدت اعطفها بانّي رعائها
يا موحش العين التي انست بطول بكائها
غادرت بين جوانحي نفسا تموت بدائها
تشتاق عيني ان تراك وانت في سودائها
فاذا تخلت بنظرة سمحت بجمة مائها
فكانها كف الخليفة اسبلت بعطائها

وبعد هذا شرع في المديح وابدع فيها جميعا وسأذكر بعد هذا عند اواخر هذه الترجمة شيئا من مدايحه في صلاح الدين ان شاء الله تعالى فقد كان يسير قصايده اليه من بغداد فيصل اولا الى القاضي الفاضل ومعها مديح للفاضل وهو الذي يعرض قصايده على صلاح الدين رحمه الله تعالى ثم ذكر شيخنا ابن الاثير بعد هذا فصلا يتضمن حصول الوحشة بين نور الدين وصلاح

الدين

الدين وكان الحادث ان نور الدين ارسل الى صلاح الدين يامره بجمع العساكر المصرية والمسير بها الى بلاد الفرنج والنزول على الكرك ومحاصرته ليجمع ايضا هو عساكره ويسير اليه ويجتمعا هناك على حرب الفرنج والاستيلاء على بلادهم فبرز صلاح الدين من القاهرة في العشرين من المحرم وكتب الى نور الدين انه رحيله يرحل فلما اتاه الخبر رحل عن دمشق عازما على قصد الكرك فوصل اليه واقام ينتظر وصول صلاح الدين اليه فاتاه كتابه يعتذر فيه عن الوصول باختلال البلاد وانه يخاف عليها مع البعد عنها فعاد اليها فلم يقبل نور الدين عذره وكان سبب تقاعده ان اصحابه وخواصه خوفوه من الاجتماع بنور الدين حيث لم يمتثل امر نور الدين شق ذلك عليه وعظم عنده وعزم على الدخول الى مصر واخراج صلاح الدين عنها فبلغ الخبر الى صلاح الدين فجمع اهله وفيهم والده نجم الدين وخاله شهاب الدين الحارمي ومعهم سائر الامراء واعلمهم ما بلغه عن عزم نور الدين على قصده واخذ مصر منه واستشارهم فلم يجبه احد منهم بشي فقام تقي الدين عمر ابن اخي صلاح الدين قلت وقد تقدم ذكره ايضا في ترجمة مستقلة وقال اذا جاء قاتلناه وصددناه عن البلاد ووافقه غيره من اهله فشتمهم نجم الدين ايوب وانكر عليهم ذلك واستعظمه وكان ذا راي ومكر وعقل وقال لتقي الدين اقعد وسبه وقال لصلاح الدين انا ابوك وهذا شهاب الدين خالك اتظن ان في هولاء كلهم من يحبك ويريد لك الخير مثلنا فقال لا فقال والله لو رايت انا وخالك شهاب الدين نور الدين لم يمكنا الا ان نترجل ونقبل الارض بين يديه ولو امرنا ان نضرب عنقك بالسيف لفعلنا فاذا كنا نحن هكذا كيف يكون غيرنا وكل من تراه من الامراء والعساكر لو راى نور الدين وحده لم يتجاسر على سرجه ولا وسعه الا النزول وتقبيل الارض بين يديه وهذه البلاد له وقد اقامك فيها وان اراد عزلك فاي حاجة الى المجي بامرك بكتاب مع نجاب حتى تقصد خدمته ويولي بلاده من يريد وقال للجماعة كلهم قوموا عنا ونحن مماليك نور الدين وعبيده يفعل بنا ما يريد فتفرقوا على هذا وكتب اكثرهم الى نور الدين بالخبر ولما خلا ايوب بابنه صلاح الدين قال له انت جاهل قليل المعرفة تجمع هذا الجمع الكبير وتطلعهم على ما في نفسك فاذا سمع نور الدين انك عازم على منعه عن البلاد جعلك اهم الامور اليه واولاها بالقصد ولو قصدك لم تر معك احدا من هولاء العسكر وكانوا اسلموك اليه واما الان بعد هذا المجلس فسيكتبون اليه ويعرفونه قولي وتكتب انت اليه وترسل في هذا المعنى وتقول اي حاجة الى قصدي يجي نجاب ياخذني بحبل يضعه في عنقي فهو اذا سمع هذا عدل عن قصدك واستعمل ما هو اهم عنده والايام تندرج والله في كل وقت في شان ففعل صلاح الدين ما اشار به والده فلما راى نور الدين الامر هكذا عدل عن قصده وكان الامر كما قال نجم الدين وتوفي نور الدين ولم يقصده وهذا كان من احسن الاراء واجودها انتهى ما ذكره ابن الاثير وقال شيخنا ابن شداد في السيرة لم يزل صلاح الدين على قدم بسط العدل ونشر الاحسان وافاضة الانعام على الناس الى سنة ثمان وستين وخمسماية فعند ذلك خرج بالعسكر يريد بلاد الكرك والشوبك وانما بدا بها لانها كانت اقرب اليه وكانت في الطريق يمنع من يقصد الديار المصرية وكان لا يمكن ان تعبر قافلة حتى يخرج هو بنفسه فيعبرها فاراد توسيع الطريق وتسهيلها فحاصرها في هذه السنة وجرى بينه وبين الفرنج وقعات وعاد ولم يظفر منها بشي ولما عاد بلغه خبر وفاة

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)